باب الاخبار والآثار

مراكش والاصلاح ـ وحال المسلمين

كتب الينا من فاس ان أبا حمارة يكوّن سلطنة فى تازه . وأنه ظهر خارج آخر يدعى أبا عمامة (وهو معروف) وأنه ليس لدى الحكومة فى فاس أكثر من ألف جندي وأن الخزينة مفلسة فان الدين الذى أخذه السلطان عبد العزيز من فرنسا قد اشترى به من باريس كثيرا من الأثاث والرياش والماعون وأدوات الزينة والزخرف، وأن فرنسا قد استلمت ادارة المكس (الجمرك) بطنجة في مقابلة المال الذى اخذه السلطان منها وقدره ٦٢ مليون فرنك وابتدأت بالعمل . وأن بعض الوزراء مال لسياستها كما كان المهدي المنبي ميالا الى انكلترا حتى انه دخل فى حمايتها رسميا وهو وزير وان كان لاحق له فى ذلك ، وأن جهل هذا الوزير هو الذى ذهب بما كان عند الدولة من السلاح الكثير وأفسد عليها جيشها وأطمع الخارجين فيها ، وأن السلطان قد صادره بعد عودته من الحج هو وكاتبه وقد قبض على كاتبه وامتنع هو فى طنجه بحماية قنصل انكلترا. ويظن الكاتب أن فى تداخل فرنسا فى شؤون البلاد خطرا عظيما لان جميع القبائل مستعدة للمقاومة بالقوة وأنهم ما انضوا السلطان الا ليله الى الأجانب ولولا ذلك لم تمتد دعوة الخارج وتقوى شوكته

هذا ملخص ما كتبه الكاتب من أخبار البلاد وهو يقول مع هذا ما يعلمه المختبرون من أن أكثر علماء تلك البلاد لا يزالون على ما كانوا لم تحدث لهم موعظة ولا تجدد لهم اعتبار ولا اقتنعوا بالحاجة الى شيء من العلم والعمل غير فقه المالكية ومقدماته، وعامتهم لا تزال تعتقد مع أكثر خاصتهم أن أعظم واق للبلاد هو وجود قبور الاولياء فيها لا سيما سيدي ادريس الاكبر (رضي الله عنه) ولو عرفوا مع كتب النحو والفقه شيئا من تاريخ المسلمين لكان لهم فيه عبرة فان معظم بلادهم خرجت من أيديهم واستولى عليها الافرنج على بعد أكثرهم عنها وكان أهلها يقولون بقول أهل مراكش ويعتقدون اعتقادهم. كان أهل بخارى قبل فتح الروسية لبلادهم يرون أن قراءة البخارى وسر سيدى

بهاء الدين شاه نقشبند امام الطريقة المشهورة كافيان لحماية البلاد من كل سوء وقد دخلت الجنود الروسية عاصمتهم وهم مشغولون بقراءة البخاري فلم تفن عنهم قراءة البخاري ولا البخاري نفسه ولا شاه نقشبند شيئا من عذاب الله الذي تركوا سنته في خلقه وأمره في كتابه «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»

يتوقف امتثال أمر الله في هذه الآية على معرفة الفنون العسكرية ومنها الرياضية والطبيعية التي يحرمها الغفل من الفقهاء باسم الدين فيحرموا ما فرضه الله تعالى على الأمة اعتداء على الله وافتئاتا على دينه والعامة تفتش بهم لانها اعتادت على تقليدهم. ومن ينير الله تعالى بصيرته وبؤتيه فهما في كتابه فيحاول اقناع الناس بما أوجب الله تعالى عليهم من الاستعداد للاعداء بمثل ما يستعدون به لازالة سلطة الاسلام — وهو العالم حقاً — يهيجون عليه العامة بأنه يدعوهم الى علوم الكافرين ليفسد عليهم دينهم وأن ما يستدل به على دعاويه من كتاب الله تعالى غير جائز لأمثاله لأنه مخصوص بالذين مانوا من المجتهدين، ولكن كيف جاز لهم هم أن يجتهدوا بجهلهم فيحللوا ويحرموا بأهوائهم من غير بينة ولا دليل.

هذا ما وصلت اليه الامة الاسلامية بارشاد علمائها، واستبداد سلاطينها وأمرائها حتى نزع الله منهم اكثر ممالكهم ولا تزال الامم الافرنجية تستولي على بلادهم مملكة بعد مملكة ولا يرجع المتأخر عما كان عليه المتقدم فمن نعاتب ومن نخاطب

الخواص والزعماء هم الذين ينهضون بالامم ولكن طول عهد المسلمين باستبداد الامراء قد أفسد النفوس، وطول عهدهم بالجهل والتقليد قد أفسد العقول، فأي زعامة ترجى مع فساد نفس المرء وعقله

تنحي جرائد هذه البلاد على السلطان عبد العزيز وتعي عليه اسرافه في اللهو واللعب واللذات الحسية وكل أمراء المسلمين كذلك بل يسرفون من طرق الشهوات واللذات ما لا يخطر له على بال وإنما يلام هذا السلطان على كونه لا يعرف شيئا غير اللهو وأني له أن يعرف شيئا وهو لم يتعلم وهو لم يتعلم من علوم السياسة وادارة الممالك شيئا ثم أنى له ان يعمل بما عساه يعلمه وهو لم يتعلم، اي ان الاخلاق والاعمال الحسنة انما تنشأ عن التربية والتعود عليها وهو لم يتربى الا على اتباع ما يحب ويشتهي، وانا نرى

من تعلم من امرائنا وعرف مالم يعرفه غيره لايتبع الاهواء الا ان يعجز عنه ويضطر الى غير ما يهوى اضطرارا

الواجب على الجاهل بما ينبغي له علمه وتتوقف عليه سعادته إن كان عاقلا موفقا أن يستعين بمن يعلم ذلك ويقدر على العمل به بقدر الامكان. ولكن طبيعة الاستبداد كالخدر في الجسم لايحس معه المرء بالحاجة الى الدواء فيسعى بطلبه ولو أحس لوجد للمقتضي مانعا وهو لذة الاستبداد التي تملو كل لذة في الكون فهو يختار أن تطوح أمته في هوة الهلاك على أن يعارض استبداده وحكمه المطلق معارض إصلاح .

السلطان عبد العزيز لايرى أمامه ولاحوله داعيا الى إصلاح عسكري أو إداري أو علمي ولايشعر بان الامة تطالبه بشيء من ذلك بل ربما كان يعلم أن أمته تكره كل شيء جديد وان كان السعادة والسيادة أفلا يكون معذورا بالنسبة الى سلطان يعلم أن في رعيته الألوف وعشرات الالوف بل والملايين من العارفين بدرجة ضعف الدولة الشاعرين بخطر الجهل في الامة والاستبداد في السلطة المطالبين بالاصلاح ثم هو يحاربها كلها ويسعى في إطفاء كل شعلة للعلم وجذوة للغيرة في كل زاوية من زوايا بلاده وقراها حتى انه ليعد من أكبر الجرائم السياسية الاطلاع على كتاب في فن التربية والتعليم ويعاقب على ذلك بدون محاكمة عقابا لاحد له ولاشرع ولاقانون ؟

سياح شاه ايران في بلاد أوربا ورأى فيها من آيات القوة والرقي ماعرفه الفرق بين العلم والجهل والعمران والخراب والترقي والتدلي والقوة والضعف فاشتهى ان يصلح حال دولته ولكنه لايجد في بلاده من يقدر على القيام بالاعمال الادارية ولا المالية ولا الحربية ولا التعليمية

فهنا شعب اسلامي يحب الاصلاح ولكن سلطانه لايحبه وهناك شعب اسلامي لايشعر بالحاجة الى الاصلاح ولكن سلطانه يشعر به . فلا شعب يقدر على تقييد سلطان ولا سلطان يقدر على اصلاح شعب واما بلاد مراكش فلا سلطانها يشعر بما يجب ولا شعبها فحالها شر الأحوال

ولكن قد بلغنا أخيرا أن بعض الكبراء في فاس يشعرون بالخطر الذي يتذرهم ويعنون ليقتنع السلطان بمثل ماهم مقتنعون به ويتفق معهم على العمل للاقراء الخطر

ثم لا يجدون لذلك وسيلة ولا يهتدون اليه سبيلا. المسلمون مساكين. المسلمون فقراء. أما إنهم ليسوا فقراء الايدي ولكنهم فقراء العقول والقلوب فانه لا يزال في أيديهم أفضل بقاع الارض ولكنهم قوم يجهلون

نعم قد رشد من المسلمين افراد قليلون ، ولكنهم في شعوبهم القاصرة ضائعون ، ومع هذا فهم محل الرجاء في جميع الارجاء ، يمدون للاصلاح الأفراد ، ويؤلفون ما استطاعوا بين الآحاد ، وان الاصلاح والاسعاد على قدر الاستعداد ، فنسأل الله إن يسدد أمرهم ، ويشد أزرهم ، ويكثر عددهم ، ويقوي مددهم

﴿ الحجاج والسلطان والانكليز ﴾

أرسل السلطان الى الحجاز لجنة لتحقيق أمر ما كان من التعدي على الحجاج وسفك دمائهم ونهب أموالهم وهذا اعتراف رسمي بالتعدي إجمالا وتكذيب لما نشر في الجرائد العثمانية نقلا عما كتبه أمير مكة ووالي الحجاز بعد الحج من أن الحجاج كانوا في أمن وراحة واطمئنان . والذي نقل عن اللجنة أنها نفت طائفة من وجهاء المدينة المنورة الى جهة الطائف . والمعروف أن هنالك حزبان يتنازعان والحكام ينصرون من كان أكثر لهم نفعاً والناس يعرفون أن علة مصاب الحجاج في مكة لا في المدينة وهي الأمير والوالي ولكن (المابين) راض عنهما فليغضب من شاء من الحجاج وغيرهم . وعسى أن تكون اللجنة اتفقت مع الوالي والأمير على حفظ الأرواح والرفق بسلب الاموال إذ لا يرجى المنع من السلب مطلقاً فيما نظن فان الاعتداء على الارواح فضيحة كبرى واذا تبين استمراره يبطل الحج لانه يصير محرما بعد أن كان واجباً الا اذا قدر المسلمون على حماية حرم الله وحرم رسوله رغماً عن الحكومة

هذا ما كان من أمر حكومة السلطان في ذلك وقد أنبأنا البرق بأن مجلس النواب الانكليزي بحث من عهد قريب في مسألة الحج المصري وسأل حكومته عن الطريق التي تسلكها في المحافظة على الحجاج المصريين وهو نبأ جديد لم يعهد من قبل ولا غرو فان الاحتلال الانكليزي قد دخل في طور جديد بعد الوفاق بين انكلترا وفرنسا ورضاء الدول بالوفاق ومنه عدم البحث في أمر الاحتلال والجلاء وتفويض الامر كله في مصر الى بريطانيا العظمى بشرط أن تكون حقوق الدول ومصالحها

فيها محفوظة . فهل تفطن الحكومة الحميدية الى وجوب منع كل سبب يؤدي الى تداخل الانكليز في شأن الحجاز والحجاج ؟ هذا ما يتمناه للدولة والسلطان كل مسلم والله الموفق

﴿ الرابطة الدينية والحرب الحاضرة ﴾

لقد ظهر لنا من ميل النصارى الى روسيا في هذه الحرب فوق ما كنا نعرف ونظن فانا رأينا العوام والخواص منهم يتألمون أشد التألم لكل انكسار وكل خسار يصيب الجنود الروسية في الشرق الاقصى ويفرحون أو يتعزون اذا قيل أنه قد قتل من العساكر اليابانية عدد كبير . ظهر ذلك لنا عما نشاهد في مصر ومما ينقل لنا من أخبار سوريا والمهاجرين السوريين في أمريكا . وقد انتهى الغلو في حب روسيا عند السوريين الى أن يترك بعضهم الضحك بل والاكل في المساء الذي يقرؤن في برقياته أن روسيا قد انكسرت في واقعة كذا وأخذ اليابانيون منها موقع كذا أو أغرقوا لها كذا وكذا من السفن الحربية — والى أن يكابر بعض أصحاب الصحف منهم أنفسهم في الانكسار المتوالي من الروس فيصوروا الوقائع بغير الصور التي انتهى اليهم خبرها حتى كان في هذه الصحف مالو اكتفى به القارئ في تعرف أخبار هذه الحرب لاعتقد أن ليس لليابانيين مزية وأن ما أخذوه من المواقع والحصون من الروس قد تركه الروس لهم لحكمة حربية ولا يلبثون أن ينقضوا عليهم انقضاض الأسود على القرود فيمزقوهم تمزيقا — هذا وأوربا بدعواها وكبريائها وخيلائها واحتقارها للشرق واهله قد أعجبت كلها حتى أنصار روسيا منها بأن اليابان قد بلغت من اتقان الحرب علما وعملا غاية لا مطمع لأحد في تجاوزها فنظامهم أكمل نظام وسلاحهم أحسن سلاح وشجاعتهم أتم شجاعة وقد بلغوا الكمال الحربي في البر والبحر . والمعتدلون من أصحاب هذه الصحف الذين لا مندوحة لهم عن ذكر جميع الوقائع كما ينقل البرق والبريد يضيفون الى أخبار ظفر اليابان ملا مناسبة له من أعمال روسيا الماضية وانتصارها السابق في بعض الحروب وملأها من الاعذار الحاضرة وما يرجى لها من الاماني المستقبلة ، يمثلون بذلك عظمة روسيا في أعظم تمثال وصل اليه الخيال قبل هذه الحرب التي ذهبت بالخيالات وفضحت للناس باب الحقيقة في الحكم . ولسنا نريد بهذا القول تحقير روسيا والتكهن بأنها لا تنتصر أو الرد على هذه الصحف وانما نريد

بيان الواقع. في البرازيل جريدة سورية معتدلة حقا لا تتعصب لدين ولا لمذهب ولا لطائفة وهي جريدة (المناظر) كانت تذكر خلاصة أخبار الحرب كما تصل اليها فقامت عليها قيامة السوريين هناك وطفقت جرائدهم ترد عليها ردا عنيفا

هذا أثر من آثار الرابطة الدينية ويعلم من ظهر عليهم ان بعض مظاهره متقد وأنه على كل حال لا يفيد روسيا ولا يدفع عنها شيئا وماذا عليهم وهم لم يشعروا باختيارهم ولم يقولوا ما قالوا وكتبوا دهانا لها وانما هو سلطان الدين الاعلى على الارواح ظهر أثره في الاقوال والاحوال . من غير تكلف ولا اعتمال، فهل يعتبر بهذا بعض الشعوب الذين استحوذ على أرواحهم سلطان اللغة فغلب فيهم الشعور الديني حتى لا غيرة لهم على دينهم ولا على أهله الذين يعيشون معهم فضلا على الذين يعدون عنهم ؟؟ أيتعللون بأنهم استبدلوا الشعور الوطني بالشعور الديني خلافا للسوريين؟ لعلهم لا يجرءون على هذا التعلل فان السوريين هم الذين علموا الشرق الادنى هذا النداء بالوطنية . فاذا كانت آية الوطنية لم تمح آية الدين عند الاستاذ فأجدر بها أن لا تمحوها عند التلميذ. واذا ادعوا أن الشعور الديني كامل فيهم فليحاسبوا أنفسهم ليعرفوا حقيقة الدعوى. والله يعلم السر والنجوى.

أهواء الجرائد والدفاع عن الأمير

لقد كان في قضية السادات وصاحب المؤيد عبر لأولي الألباب لا تذكر منها إثبات المحكمة كون طريقة إثبات الانساب الرسمية غير شرعية ولا غير ذلك وانما نحب تنبيه الافكار الى ضرب من ضروب أهواء الجرائد التي أشرنا اليه في الجزء الاسبق وهو أن وكيل السادات قال في المحكمة ان الخديو المعظم خطب بنت موكله لصاحب المؤيد ثلاث مرات ولم ينجح في خطبته (أو كما قال) ولا يخفى أن هذه الكلمة أعظم مما انتقدته الجرائد على رياض باشا أو أبعد منه عن الأدب مع الأمير — ان لم تقل اكثر من هذا — فما بال تلك الجرائد التي شنت الغارة على رياض دفاعا عن مقام الامير تلقت كلمة المحامي بالقبول ؟ اللهم انها لطقت هناك عن هوى وسكتت هنا عن هوى فسلا الاخلاص للامير اقعدها ولا ضده أسكتها فهم كمن نزل فيهم « يحلونه عاما ويحرمونه عاما »

قلنا في الجزء الماضي انه ثبت للمحكمة تزوير نسب صاحب المؤيد والأولى لم تثبت عندها صحته